# تسخير الأرض للإنسان في القرآن الكريم
# (رؤية جغرافية)

د. إلياس منصور أحمد محمّد
جامعة أم درمان الإسلامية

**مقدمة :**

لعلّ الجغرافيا أكثر العلوم صلة بالإنسان بسبب اهتمامها به من كل النواحي. ذلك لأنّ مجال دراسة الجغرافيا هو الأرض وماعليها، به وتطوره وأنشطته. وبما أنّ الأرض سخرة ربانية للعباد، فلا غرو، في أن يهدف الجغرافي إلى الوقوف على الآيات التي أشارت إلى تسخير المولى عزّ وجلّ الأرض للإنسان. وهذا ما هدف إليه هذا البحث، فضلاً عن تأصيل العلم، تلك الموجة التي انتظمت العلوم المختلفة في عالمنا الإسلامي تأصيلاً وربطاً لها بالكتاب المجيد والسنّة النبوية المطهّرة.

خلق الله تعالى الإنسان واستخلفه في الأرض، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...) (البقرة٣٠) ، ليعمرها ويحقق الغاية التي خلق من أجلها ، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات٥٦ )، وهيأ له بيئة طبيعية .هي الأرض.تشتمل على عناصر مختلفة تتمثل في الأرض ومظاهر سطحها ، التربة ،والمياه بأنواعها ،والحيوان والنبات، المناخ بعناصره المختلفة .وهي بمثابة موارد يستغلها الإنسان ليحقق عيشه في هذه الدنيا. فالمولى عزّ وجل هيأ له بيئة طبيعية ذاخرة بمقوّمات الحياة ،

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى تلك البيئة الطبيعية وعناصرها ومبينة أوجه الاستفادة منها . كقوله تعالى:( هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ )( البقرة٢٩ )، وقوله تعالى :( أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)( لقمان٢٠ )وقوله تعالى :( وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ )(الجاثية١٣ ).

جاء في تفسير هذه الآيات [1] ، أنّ الله خلق ما في السموات من شمس و قمر ونجوم ليستضيؤوا ويهتدوا بها ، ومن أمطار وثلج وبرد لينتفعوا بها، وما في الأرض من قرار وأنهار وبحار وجبال ، وزروع وثمار وأشجار وأنعام ، ليتفكروا في قدرته جل وعلا وليؤمنوا به إلهاً واحداً .

والواقع أنّ السموات و ماتحويها والأرض وما بداخلها وما عليها ، ومابين السموات والأرض ؛ كلها تمثل البيئة الطبيعية ، فهذه الآيات الكريمة حوت عناصر المناخ المتمثلة في المطر والثلج والبرد ، والحرارة ومصدرها

الشمس ، والرياح التي تتحرك بسبب اختلاف درجات الحرارة . كما حوت الفلك والمياه والبحار، المرتفعات والمنخفضات، وكذلك النبات الطبيعي والحياة البرية .

كل ذلك ليسخرها الإنسان لمصلحته وينتفع بها ، ليتمكّن من تحقيق الاستخلاف في الأرض ويتحمّل الأمانة التي حملها من المولى عزّ وجلّ ويحقق الغاية التي خلق من أجلها .

وسيتناول هذا البحث بعض عناصر تلك البيئة الطبيعية، مستدلاً بالآيات التي ورد ذكرها فيها، وأوجه الاستفادة منها، من منظور جغرافي. فالإنسان كائن جغرافي بينما تمثل البيئة الطبيعية المسرح أو المجال الجغرافي الذي يعيش فيه.

وسيتم تناول هذه الدلالات في المجالات الآتية :.

- الأرض
- المناخ

**أوّلاً: الأرض.**

إنَّ الآيات التي ورد فيها ذكر خلق الأرض وبسطها وتمهيدها لتوفر مقوِّمات الحياة للإنسان الذي استخلف فيها، كثيرة. منها قوله تعالى :( الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء ... ) (البقرة٢٢ ). وقد ورد تفسيرا بن كثير [٢] لهذه الآية ، أنَّ الله أسبغ نعمه ظاهرة وباطنه بأن جعل الأرض فراشاً أي مهداً كالفراش، مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات ، والسماء بناءً أي سقفاً .

نعم، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ سخّر الأرض للإنسان حتى يستطيع أن يمارس عليها أنشطته، كالزراعة و الرعي الصناعة...الخ ، وأن يقيم عليها منشآته ومساكنه و يمد عليها طرق مواصلاته وغيرها .

ويقول المولى عزَّ وجلَّ في سورة البقرة : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ) (البقرة٣٦). جاء تفسير ابن كثير [٣] لـ (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ) أن لكم قراراً وأرزاقاً وآجالاً إلى وقت مؤقّتٍ ومقدار معيَّن ، ثمَّ تقوم القيامة .

ففي الأرض . البيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة .يجد الإنسان المأوى والقرار ، والرزق من النبات والحيوان وغيرها ، إلى يوم الوقت المعلوم .

وقد ورد في تفسير القرطبي [٤] لعبارة (حلالاً طيِّباً ) في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ) ( البقرة ١٦٨ ) ؛ أنَّ المعنى هو الطيب والمستلذ . وهذا يعني أنَّ الله وفَّر في البيئة الطبيعية ، أنواعاً مختلفة من الطعام ، فيها الطيب والقذر . والقرآن الكريم أمر بانتقاء الطيب منها . كما جاء في تفسير (طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ ) من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ) (البقرة٢٦٧) ، أنّه يعني الذهب والفضة ، والثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض.

فالأرض ،بجانب ما تنبت من زروع وثمار وأشجار ، تذخر كذلك بموادٍّ معدنية في جوفها وقشرتها ، تتمثّل في المعادن المختلفة ، والبترول والغاز الطبيعي وغيرها ، من المواد التي كانت سبباً للثورة الصناعية والتطور الاقتصادي في هذا الزمان ، بجانب الآثار السالبة لها في إفساد

البيئة وإحداث الحروب . وقد وردت الإشارة إليها في قوله تعالى : (...وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ... )( الحديد ٢٥) .

إنَّ الله تعالى لم يسخِّر الأرض لمد الإنسان بالمواد التي ذكرت فقط ، بل جعلها مكاناً يوارى فيه الموتى من بني آدم ، وكثير ممّا يراد التخلص منه ، كما بينّها قول المولى عزّ وجلّ : (فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ )(المائدة٣١)، وقوله تعالى : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً × أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً ) (المرسلات٢٦، ٢٥)، وقوله تعالى : (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً) (نوح ١٨).

قال تعالى في سورة الأنعام : (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ) (الأنعام ٦ ).

جاء تفسير ابن كثير[٥] لـ (مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ) أنَّ التمكن في الأرض بالأموال والأولاد والأعمار والجاه العريض والسعة والجنود ، وأرسل عليهم المطر شيئاً بعد شيء ، فسالت أنهاراً وينابيع في الأرض . وذكر ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)(الأعراف١٠). ذات المعنى ، وكذلك في قوله تعالى: (... لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ... )( النور ٥٥).

فالإنسان يبني ثرواته واقتصاده ممّا أمده الله بها من جوِّ السماء من مطر استقرّ في الأرض في شكل أنهار وبحار وينابيع ومياه جوفية ليتكاثر ويعمِّر الأرض . ونظراً لأهمية الموارد المائية فإننا نرى الآن صراعات بين دول العالم حول المياه العذبة المتوفرة في الأنهار وباطن الأرض ، بل امتد الصراع إلى مياه البحار ؛ إمّا لاستخراج مكنوناته أو الملاحة أو الصيد أو لأغراض الدفاع ... إلخ ، كل ذلك يدلّ على أهمية مكنونات البيئة الطبيعية في حياة الإنسان . كما جاء كذلك في تفسير الجلالين[٦] للآية : (وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ )( الأعراف٧٤ )، أنَّ الله جلّ وعلا ، بوّأ ثمود وأسكنهم الأرض ، يتخذون قصوراً ليسكنوها صيفاً ، تفادياً لحرِّ الصيف. حيث كانوا يقيمون بين الحجاز والشام . بينما ينحتون من الجبال بيوتاً يسكنوها شتاءً طلباً للدفء . وجغرافياً ، إنَّ الكهوف التي تنحت في الجبال تتميّز بالدفء ، وهكذا فإنّ الله هيَّأ الأرض للإنسان ليختار مكان سكناه حسب المواسم وحسب الظروف الطبيعية .

والمولى عزّ وجلّ بسط الأرض ومدّها ، وجعلها ذلولاً سهل الإقامة والاستقرار والمشي عليها كما ورد في الآيات الكريمة التالية :

(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ )(الرعد٣).

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى × كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي

ذلك لآيات لأولي النهى )( طه ٥٤ ، ٥٣).

(أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون )(النمل٦١).

(الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين )(غافر٦٤).

(الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون )(الزخرف١٠).

(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ) (الملك١٥).

(والله جعل لكم الأرض بساطاً × لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ) (نوح١٩، ٢٠).

(ألم نجعل الأرض مهاداً )(النبأ٦).

(والأرض بعد ذلك دحاها × أخرج منها ماءها ومرعاها × والجبال أرساها × متاعاً لكم ولأنعامكم) (النازعات ٣٠ ،٣١،٣٢،٣٣ ).

(وإلى الأرض كيف سطحت)( الغاشية٢٠ ).

جاء في تفسير[٧] الآيات السابقة ؛ لكلمة (مدَّ) في الآية (٣) سورة الرعد ، بمعنى بسط ، وكلمة ( بساطا ) في الآية (١٩ ) سورة النبأ ، بمعنى مبسوطة ، وكلمة ( دحاها )في الآية (٣٠ ) سورة النازعات ، بمعنى بسطها، وكلمة ( سطحت) في الآية (٢٠) سورة الغاشية ، بمعنى بسطت ومدت . أمّا كلمة ( مهداً ) في الآية (٥٣) سورة طه ،والآية (١٠) سورة الزخرف ، وكلمة (قراراً) في كل من الآية (٦١) من سورة النمل والآية (٦٤ من سورة غافر ، وكلمة ( ذلولاً ) في الآية (١٥) سورة الملك و(مهاداً) في الآية (٦) سورة النبأ ، كلها جاءت تحمل معنى ؛ مكاناً للاستقرار ومهداً سهل المشي والإقامة عليه .

فكما وردت في الآيات السابقة فإنَّ المولى عزَّ وجلَّ ثبّت الأرض بالرواسي . أي الجبال . و فجّر فيها الأنهار ، ومهّد فيها سبلاً للسعي لكسب الرزق ، وأخرج منها الماء والمرعى للأنعام ، والثمرات للإنسان ، وذلك بأن أنزل الماء من السماء . كل ذلك للتفكر والتدّبر في قدرة الله وملكوته ، الإيمان به وحده وعبادته وشكره .

وانبساط الأرض ومده الذي ذكر في تفسير هذه الآيات ،لا يتعارض وما أثبته العلم الحديث بأنَّ الأرض كروية بأدلة مادية من سطح الأرض وبالأقمار الاصطناعية . بل وافق العلم الحديث ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي ...) ( الرعد٣ )و قوله تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كلِّ شيء موزون )(الحجر١٩ )، فقد أورد المفسرون[٨] أنَّ معنى المد أننا مهما سرنا فيها فستبقى ممدودة ، فلن ننتهيَ إلى حاجز يحول دون ما وراءه ، أو إلى هوة أبدية نقف عندها عاجزين . فلنسر في أيِّ اتجاه فسنجدها ممدودة . ولا يوجد شكل من الأشكال الهندسية تتحقق فيه هذه الحالة سوى الشكل الكروي .

والإنسان أينما سار في السهول الواسعة، فإنَّ الأرض تبدو له منبسطة تماماً وغير منحنية السطح، لأنَّ ما يراه الإنسان من مساحة سطح الأرض الذي يسير عليه، لا يمثل سوى مساحة صغيرة جداً من سطح الأرض.

وفي قوله تعالى : (والجبال أوتاداً ) (النبأ٧) ، فقد ذكر الجيولوجيون أنَّ الجزء المنغمس من الجبل في قشرة الأرض أطول ممّا هو ظاهر فوقها بحوالي ١٥ مرة[٩] . وكذلك وجد أنَّ الوتد الذي يغمس في الأرض لحبس الدواب، إنما

يكون الجزء الغاطس منه أطول من الجزء البارز و، إلا انتزع بواسطة الـ ابة.

فالجبال تعمل على تثبيت وتوازن قشرة الأرض . وجغرافياً فإنَّ للجبال فوائد وآثاراً أخرى عديدة ؛ فهي تعمل على اعتراض الرياح الرطبة لتصعد ويتكاثف ما بها من بخار ماء ليسقط مطراً . كما أنَّها تعمل على تجميع مياه الأمطار لتسيل في الأودية والأنهار ، وما من وادٍ إلاَّ كان منبعه من علٍ ، فإن لم يكن جبلاً فسيكون تلاً أو ربوة. وتزداد الجبال أهمية وأثراً إذا احتوت على بحيرات .

وقديماً ، عندما كانت القبائل تعيش حالات السلب والنهب والغارات على بعضها ، كانت القبائل تتخذ الجبال ملاذات آمنة ممَا قد يتعرَّض لها من غارات ، فضلاً عن أنَّ الجوَّ يتلطف بالصعود عليها ، ولذلك توجد آثار قديمة لمبانٍ حجرية فوق الجبال مثل جبل مرة وجبل ميدوب بدارفور . إضافة إلى غطائها النباتي وما يجود بها من ثمار وموادّ أخرى . وكذلك المعادن والبترول ...الخ .

ومن مظاهر تسخير البيئة الطبيعية التي أوردها القرآن الكريم في هذا المجال من النظرة الجغرافية، اختزان الماء في قشرة الأرض وتدفقها في شكل عيون وينابيع ليستغلها الإنسان. وبسط الأرض وإيجاد السهول والأحواض ليمارس فيها الإنسان أنشطته، من زراعة ورعي وإنشاء طرق للمواصلات البرية، والمطارات وإقامة المصانع وإنشاء المباني والدور، وتثبيت هذه الأرض بالجبال والهضاب المختلفة، وشق الأنهار وإيجاد المسطحات المائية الواسعة، والتي يتم منها تبخير المياه لتُحمل بواسطة الرياح لتسقط مطراً في بقاع الأرض المختلفة ليستفيد منها الإنسان.

قال تعالى:( وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فيهَا رَوَاسيَ وَأَنْهَاراً وَمن كُلِّ الثَّمَرَات جَعَلَ فيهَا زَوْجَيْن اثْنَيْن يُغْشي اللَّيْلَ النَّهَارَ إنَّ في ذَلكَ لآيَات لِّقَوْم يَتَفَكَّرُونَ )(الرعد٣).

جاء في تفسير قوله تعالى (:( وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فيهَا رَوَاسيَ وَأَنْهَاراً) أنّه جعلها متسعة ممتدة وأرساها بجبال راسيات أجرى فيها الأنهار والعيون والجداول ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان [١٠].

ونفس المعنى يحمله قوله تعالى:( وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فيهَا رَوَاسيَ وَأَنبَتْنَا فيهَا من كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ )(الحجر١٩ )وكذلك قوله تعالى:( أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْن حَاجزاً أَإلَهٌ مَّعَ اللَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ) (النمل٦١ )وقوله تعالى:( خَلَقَ السَّمَاوَات بغَيْر عَمَد تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى في الأَرْض رَوَاسيَ أَن تَميدَ بكُمْ وَبَثَّ فيهَا من كُلِّ دَابَّة وَأَنزَلْنَا منَ السَّمَاء مَاءً فَأَنبَتْنَا فيهَا من كُلِّ زَوْجٍ كَريم )(لقمان١٠).

وقوله تعالى:( وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ منَ الْجبَال بُيُوتاً آمنينَ)(الحجر٨٢).

أي ينحتون مساكن لهم في الجبال آمنين من أن تسقط عليهم أو آمنين من الموت أو العذاب [١١].

وعلى الرغم من أنّ الآية وردت في أصحاب الحجر، أي ثمود، إلاّ أنّ الجبال عموماً، كانت قديماً تمثل مساكن وملاذات آمنة للإنسان سواء أكان ذلك عن طريق نحتها أو عن طريق بناء المساكن من أحجارها، أو حتّى السكن بجوارها، بل ماتزال بعض الشعوب تسكن الجبال حتى الآن. فهناك آثار قديمة لمساكن من الصخور موجودة في أعالي بعض الجبال في

العالم، مثل جبال النوبة وجبل مرة بالسودان.

والإنسان استغلّ هذا المظهر الطبيعي في مناحي شتّى للعمران عن طريق النحت، وإن اختلفت وسائل وتقنيات النحت والغرض منه. وخير مثال لذلك الأنفاق التي تحفر في الجبال لتصل بين المدن أو الأحياء، ويصل طول الواحد منها عدة كيلومترات، ومثال لذلك أنفاق مدينة مكة المكرمة.

وقال تعالى:( وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ) (النحل١٥).

جعل الله الجبال الشامخات لتقِرّ الأرض ولا تضطرب بما عليها ومن عليها، وجعل فيها أنهاراً تجري من مكان لآخر رزقاً للعباد، وجعل فيها سبلاً يسلكها العباد من بلاد إلى بلاد،حتى أنّه تعالى ليقطع الجبل حتّى يكون بينها ممراً ومسلكاً [١٢]، كما قال تعالى:( وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)(الأنبياء٣١). وفي سورة نوح:( لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً )٢٠

فهذه السبل التي أعدّها الله عزّ وجلّ للناس، توجد في أنحاء مختلفة من العالم في شكل ممرات طويلة بين الجبال تصل بين بلاد وأخرى، مثلها مثل المضايق التي يمرُّ عبرها الفلك وتربط بين البحار العظيمة. والأنهار التي تسيل وتسقي الزروع.

وقوله تعالى:( وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)(النحل٨١)

جاء في تفسير(وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً) أنّ الأكنان هو جمع كن ،وهو الحصن الحافظ من المطر والريح وغير ذلك ، وهي هنا الغيران في الجبال ، جعلها الله عدة الخلائق يأوون إليها ويتحصنون بها [١٣].

وحقيقة، يذكر التاريخ أنَّ القبائل التي عاشت قديماً صراعات وحروب كانت تسكن الجبال وتتخذها حصوناً وملاذات آمنة من غارات الأعداء . وقد ذكر أنَّ قبيلة الفور المشهورة كانت تسكن جبل مرة لذات الغاية، وحتى مقبرة سلاطين الفور كانت توجد في منطقة طرة في أعالي جبل مرة [١٤]. وكذلك النوبة في جبال النوبة، وقبائل أخرى في العالم. وبخاصة في آسيا.ويصطلح عليها الآن بالأغراض الدفاعية.

وورد ذات المعنى في تفسير الآية (١٤٩) من سورة الشعراء [١٥].

وقال تعالى:( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ )(فاطر٢٧)

أي أنَّ الله خلق الجبال مختلفة الألوان، فمنها الأبيض ومنها الأحمر ومنها الشاهق الأسود اللون [١٦].

والواقع أنَّ اختلاف ألوان الجبال، بل التربات في الطبيعة إنما هو دليل على أنواع المعادن الغالبة في تكوين كل منها. واللون في علم المعادن ،هو خاصية من الخصائص التي يصنّف عن طريقها المعادن [١٧] .فيتم تحديد المعدن الداخل في تكوين الصخر ليتم تعدينه والاستفادة منه.

وفي الآيات التالية:(وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا(٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا(٣٢)مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ(٣٣)) النازعات،( وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(٢٠)) الغاشية. أنَّ الله عزّ

وجلّ هيّأ البيئة الطبيعية الإنسان ولما سخّره له من الدوّاب.

جاء في تفسير القرطبي أنّ الأرض لمّا دحيت مادت، أي تحرّكت، أرساها بالجبال[18] . وكذلك ينبّه الله تعالى إلى النظر والتأمّل في الجبال التي نصبت لتحول دون أن تميد الأرض وتتحرك ، ولينظر إلى الأرض كيف بسطت ومُدت ، لينقاد إلى الإيمان بالله وقدرته.

وجغرافياً، فإنّ نطاقات الزلازل تسودها سلاسل جبلية ضخمة كما في حلقة نار المحيط الهادي ، والنطاق الممتد عبر أوراسيا من الغرب إلى الشرق ، وجبال شرق أفريقيا. وقد أثبتت الدّراسات أنّ هذه الجبال تكوّنت عن طريق الثورانات البركانية والإلتواءات والانكسارات [19].

تناولت الآيات السابق ذكرها، الأرض كبيئة طبيعية للإنسان وتهيئة الله لها بمقوّمات الاستقرار والحياة.

**ثانياً: المناخ:**

لقد ورد ذكر عناصر المناخ ذات الأهمية الظاهرة لحياة الإنسان ، المتمثلة في الحرارة والرياح والمطر ، في مواضع كثيرة في القرآن الكريم .

**١/ الحرارة:**

إنّ لدرجات الحرارة أثر كبير في حياة الإنسان . فهي تحدد أنواع المحاصيل ومواسم زراعتها ، كما تؤثر على الضغط الجوّي ، فتحّرك الرياح التي تحمل الرطوبة والسحاب ، كما تعمل على تبخر الماء الذي يعود إلى الأرض .بعد أن يتكاثف عند انخفاض درجات الحرارة. مطراً . وتحدد درجات الحرارة توزيع الإنسان على سطح الأرض ،وكذلك نشاطه وحيويته . وتطهر الحرارة الأرض وتقتل الجراثيم .

لم يرد ذكر لفظ الحرارة في القرآن الكريم ، ولكن ورد اللفظ الدال عليها وهو (الحر) في قوله تعالى : (...وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ )(التوبة٨١ ). ورد في التفسير[20] أنّ كلمة (حر) تعني شدة الحر عندما وقعت غزوة تبوك . ومع أنها تعني الحرارة إلاّ أنّ سياقها لم يكن لمصلحة الإنسان على نحو ما ورد سابقاً .

وعلى الرغم من أنّ في الآية بيان لموقف المنافقين وخذلانهم وتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذه المواقف ، إلاّ أنّه . عموماً . من الناحية الجغرافية،يستجيب الإنسان لدرجات الحرارة ارتفاعاً وانخفاضاً، فيأوي إلى الظلّ عند اشتدادها أو يطلب الدفء والغطاء عند انخفاضها ، كما ورد في قوله تعالى : (وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)(النحل٨١ )، فقد جاء في تفسير[21] هذه الآية؛ أنّ الله خلق من البيوت والشجر والغمام ظلالاً . الظلال . (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ) أي قمصاً تقيكم الحرّ والبرد .

وأكبر لفظ دال على الحرارة ورد في القرآن الكريم هو الشمس ، وهي المصدر الرئيس للحرارة التي يتأثر بها الإنسان ويستفيد منها . ففي قوله تعالى :( هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً... ) (يونس ٥ )

جاء في تفسير[22] الآيه ، أنّ الله جعل الشعاع الصادر عن جسم الشمس ضياءً . وقد توّصل علماء الفيزياء والفلك أنّ الشعاع الصادر عن الشمس يحتوي على ثلاث مجموعات[23] من الأشعة هي :

١. أشعة قصيرة الموجة ،وهي الأشعة فوق البنفسجية ، وهي ضارة بالإنسان والكائنات الحية ، ويتم امتصاص الجزء الأكبر منها في منطقة تواجد غاز الأوزون في الغلاف الجوّي الأرضي .

٢. أشعة متوسطة الموجة، وهي الأشعة الضوئية، أي ضوء الشمس الأبيض، الذي ينعكس من على الأجسام فترى.

٣. أشعة طويلة الموجة ، وهي الأشعة تحت الحمراء ، التي هي الحرارة المقصودة في هذا المبحث .

وجاء في تفسير[٢٤] هذه الآية كذلك، أنّ الشمس والقمر تضيء وجوههما لأهل السموات السبع ، ظهورهما لأهل الأرضين السبع . وقد ورد في العلم حديثاً[٢٥] ما يوافق هذا التفسير ، ذلك أنّ الشمس جرم متوهج يرسل أشعتها في جميع الاتجاهات بما فيها اتجاه الأرض .

ويقول تعالى في تسخير الشمس : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً )(الفرقان٦١)

ويقول جلّ شأنه : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً × وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً )(نوح١٥ ،١٦ )

وقوله تعالى :( وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ) (النبأ١٣)

إنَّ ما جاء في تفسير لفظ (سراجاً)في الآيات السابقة يوافق ما جاء في تفسير الآية (٥) من سورة يونس ، ومن الناحية الفيزيائية ، فإنَّ السراج يرسل الحرارة والضوء معاً ، ممّا يدلل على أنَّ كلمتي (ضياءً) و(سراجاً )يتضمنان ،بجانب الضوء ، الحرارة كذلك .

٢/ الرياح :

ورد ذكر الرياح في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، تدلّ على تسخير المولى عزّ وجلّ لها لمصلحة الإنسان ، فهي تحمل المطر وتدفع السفن فوق مياه البحر وتلقّح النبات وتنقل البذور وتنشرها ، كما تنقل الرطوبة وتلطّف الجو ، خاصة في المناطق ذات الرطوبة العالية في السواحل المدارية[٢٦].ومن تلك الآيات :

قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) (الأعراف٥٧)

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاءً طَهُوراً× لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً) (الفرقان ٤٩،٤٨)

و قوله تعالى : (أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النمل٦٣)

و قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِه أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِه وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) (الروم٤٦)

ورد في تفسير[٢٧] كلمة (بُشْراً) الواردة في الثلاث آيات الأولى وكلمة (مُبَشِّرَاتٍ) في الآية الأخيرة ، أنَّ الرياح تبشِّر بالمطر الذي تحيا به الأرض ، بإنباتها للزرع والشجر والثمار ، ذلك لأنَّ الرياح .كما ورد في التفسير. تتقدّم المطر ، نعم كثيراً ما تتقدّم الرياح المطر ،ولكن كما ثبت في علم المناخ وبخاصة في الأمطار الإعصارية أو أمطار العواصف التي تكون في العروض المعتدلة[٢٨] تكون في مقدّمة الإعصار. أي الرياح .وتكون كذلك في مؤخرتها [٢٩] .

وجغرافياً ، تحمل الرياح بخار الماء بآليات الرفع المعروفة. التضاريس والجبهات الهوائية والتيارات الهوائية الصاعدة. إلى طبقات الجوّ العليا ، ليد ذلك البخار المكان البارد ليتكاثف إلى قطرات ماء وبلورات ثلجية ، مكوِّناً السحاب الذي تحمله الرياح إلى حيث يسقط مطراً . وهذا يتفق مع ما جاء في تفسير[30] جملة (فَتُثِيرُ سَحَاباً) في قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ )(الروم٤٨ )،وفي قوله تعالى :( وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ )(فاطر٩ ). أنَّه إمَّا من البحر . يعني حمل بخار الماء . أو ممَّا يشاء الله عزَّ وجلَّ . وفي تفسير (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ) يمده فيكثر ، وينميه ويجعل من القليل كثيراً . وفيه إشارة إلى عملية التكاثف التي تتم في طبقات الجوِّ العليا .

وجاء تفسير[31] جملة (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) في قوله تعالى :( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) (البقرة١٦٤ ). أنَّ الرياح تأتي تارةً بالرحمة وتارة بالعذاب ، وتأتي تارة مبشرة بين يديّ السحاب ، وتارة تسوقه وتجمعه وتارة تفرقه وتصرفه .

والرياح الحامل للمطر تكون مضرة للإنسان، كما يحدث في بعض مناطق العالم مثل الولايات المتحدة. وورد في تفسير[32] هذه الآية كذلك أن الرياح جمع ، ودائماً تكون الرياح مع الرحمة ، والريح مفرد ،وتكون مع العذاب ، إلاّ في سورة يونس (...وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا...)( يونس٢٢ ). ووردت كلمة الريح كذلك في موضع التسخير لسيدنا سليمان عليه السلام ، في قوله تعالى :( وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ...)( سبأ١٢ ). فقد جاء في التفسير[33] أنَّ الريح تحمل بساطه غدوُّها شهر ورواحها شهر . قال الحسن البصري : أنه كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغدى بها ويذهب رائحاً من إصطخر فيبيت بكابل ، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع وكذلك بين إصطخر وكابل .

وذكرت الرياح في القرآن الكريم على أنها تدفع السفن التي يستغلها الإنسان في أسفاره وفي نقل بضائعه وتجارته وطلب رزقه ، كما ورد تفسير[34] الآية(٤٦) من سورة الروم .

وهناك آيات وردت في دور الرياح في التلقيح ، سواء أكان ذلك للنبات أو تلقيح السحاب بإضافة كميات من بخار الماء ليصل إلى مستوى السحاب الماطر ، في قوله تعالى:( وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)(الحجر٢٢ ) . جاء في تفسير[35] (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) ،أقوال منها أنَّها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع ، ومنها ما يلقح الشجر .

وقوله تعالى :( وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ )الجاثية٥ .

فُسرت[36] عبارة (تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ) بتصريفها

شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ،وبرية وبحرية، وليلية ونهارية ، ومنها ما هو للمطر ومنها ما هو للقاح ومنها ما هو لغير ذلك .

والواقع أنَّ التصنيف الجغرافي يوافق هذا التفسير ، فهناك اتجاهات متغيرة للرياح، فهي تهبُّ متغيِّرة الاتجاه بسبب اختلاف مناطق الضغط الجوِّي ،وبسبب دوران الأرض حول محورها ، وبذلك تنقل الرطوبة من البحر إلى اليابس فتهطل الأمطار . كما أنَّ هناك رياحاً تهب يومياً فيما يعرف بنسيم البر ونسيم البحر ،و تحدث ليلاً ونهاراً . وهناك رياح محلية كالأعاصير المدارية [٣٧] .

٣/ المطر :

ورد ذكر المطر ومنافعه وتسخيره الانسان في مواضع شتّى في القرآن الكريم ، وكثرة الآيات التي وردت في المطر وبألفاظ مختلفة لهي دليل على أهمية المطر في حياة الإنسان ،بل في حياة كل شيء حيٍّ ،قال تعالى :(... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ) (الأنبياء٣٠) . وجغرافياً ؛ يتم الحصول على الماء من مظاهر التكاثف الثلاثة . المطر والثلج والبرد . ولعَلَّ الألفاظ الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم تتضمَّن تلك المظاهر الثلاثة. ولما كان للماء وآثاره الواضحة في حياة الإنسان وكل الأحياء ، من حيوان ونبات ، أنزل المولى عزَّ وجلَّ آيات كثيرة تشير إلى الماء ، كعنصر مهم في البيئة ، بألفاظ مختلفة، للتدبُّر والتفكُّر والاعتبار ، والإيمان بالله وقدرته واليوم الآخر . يوم النشور . وإحياء الموتى وبعثهم ...إلخ . فالله سخَّر المطر للإنسان والحيوان وكل الأحياء بإحياء الأرض وإنبات العشب والزرع وإخراج الثمرات كما بيَّنتها الآيات التالية :

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة٢٢).

فالله تبارك وتعالى أنزل من السماء مطراً فأخرج به لثمرات رزقاً للإنسان.

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) (البقرة١٦٤)

أي أنَّه جلَّ وعلا أحيا الأرض بعد موتها بالماء الذي أنزله من السماء بإنبات النباتات وبثَّ فيها من كل دابة ،أي الحيوانات ليتغذى على تلك النباتات .

(وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(الأنعام٩٩)

وَرد في تفسير هذه الآية ، أنَّ الله أنزل مطراً فأخرج به كل صنف من النباتات [٣٨] وأخرج به شيئاً خضراً ومن الخضر أخرج حباً يركب بعضه فوق بعض ،كسنابل الحنطة ونحوها ،ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، قريب بعضها من بعض ، متشابه في ورقها وغير متشابه في ثمرها [٣٩] .

(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ )

(الأعراف٥٧)

جاء في تفسير[٤٠] (بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَته) أي منتشراً بين يدي المطر حتى إذا حملت سحاباً ثقالاً من كثرة ما فيها من ماء فتكون ثقيلة قريبة من الأرض، سقناه إلى أرض ميتة مجدبة، فأخرجنا به من كل الثمرات. فبتأمل الإنسان لذلك المشهد ، يؤمن ويصدق بالبعث بعد الموت.

(إنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاة الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ منَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ به نَبَاتُ الأَرْض ممَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إذَا أَخَذَت الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بالأَمْس كَذَلكَ نُفَصِّلُ الآيَات لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ )(يونس٢٤).

مع تسخيره (عزّ وجلّ) الماء للإنسان فإنّه يدعوه للتأمل والتفكير في خلقه وقدرته ،فيبيّن له فوائد الماء ،وعدم قدرته على المحافظة على ما ينتجه بواسطته إظهاراً لضعفه أمام ملكوت الله جل وعلا ودعوة له للإيمان به .

(أَنزَلَ منَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْديَةٌ بقَدَرهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابياً وَممَّا يُوقدُونَ عَلَيْه في النَّار ابْتغَاء حلْيَة أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلكَ يَضْربُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ في الأَرْض كَذَلكَ يَضْربُ اللّهُ الأَمْثَالَ )(الرعد١٧)

في هذه الآية إشارة إلى أنّ ماء المطر يتجمّع فيسيل في أودية ليصل إلى أماكن لا تهطل فيها الأمطار ، مثل شمال السودان ومصر التي يصلها ماء نهر النيل الذي يتجمّع من الأمطار التي تهطل في هضبة البحيرات والهضبة الأثيوبية وغيرها ،كما أنّ هناك إشارة إلى أنّ جزءً منها يتسرّب إلى باطن الأرض عبر المسام والشقوق ، ليستخرجها الإنسان ويستفيد منها في غير موسم المطر .

(اللّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ منَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجَ به منَ الثَّمَرَات رزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لتَجْريَ في الْبَحْر بأَمْره وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ )(إبراهيم٣٢).

فالله أخرج بالماء الذي أنزله من السماء ،رزقاً للإنسان من ثمار مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع[٤١] .

(هُوَ الَّذي أَنزَلَ منَ السَّمَاء مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمنْهُ شَجَرٌ فيه تُسيمُونَ × يُنبتُ لَكُم به الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخيلَ وَالأَعْنَابَ وَمن كُلِّ الثَّمَرَات إنَّ في ذَلكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل١١،١٠)

ذكر الله الآيتين نعمه في إنزال المطر وأنه ينبت به الزرع والزيتون والأعناب والنخيل ومن كل الثمرات ، آيات للتفكّر والتدّبر[٤٢] .

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ منَ السَّمَاء مَاءً فَتُصْبحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إنَّ اللَّهَ لَطيفٌ خَبيرٌ) (الحج٦٣)

وتفسير[٤٣] هذه الآية ؛ أنّ الله أنزل مطراً فتصبح الأرض مخضرة بالنبات ، تهيئة للبيئة التي يعيش فيها ، إنّه لطيف بعباده خبير بما في قلوبهم .

(وَأَنزَلْنَا منَ السَّمَاء مَاءً بقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ في الأَرْض وَإنَّا عَلَى ذَهَابٍ به لَقَادرُونَ(١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم به جَنَّاتٍ مِّن نَّخيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فيهَا فَوَاكهُ كَثيرَةٌ وَمنْهَا تَأْكُلُونَ(١٩)وَشَجَرَةً تَخْرُجُ من طُور سَيْنَاء تَنبُتُ بالدُّهْن وَصبْغٍ لِّلْآكلينَ(٢٠)) المؤمنون

جاء في تفسير آيات سورة المؤمنون[٤٤] ،أنّ نعم الله على عبيده لاتحصى ولاتعد ، منها أنّه أنزل المطر من السماء بقدر ، أي حسب الحاجة ، لا كثير يفسد الأرض ولا قليل لا يكفي الزرع ولا

الثمار ، ولو شاء أن يذهب به لفعل (جلّ جلاله ) .وانشأ به جنّات تحوي أشجار مختلفة .

وجغرافياً، معروف أن هناك أراضي قليلة المسامية لا تتسرب ماء المطر إلى داخلها، فهي لا تحتمل كميات كبيرة من المطر. وهناك أراضي ذات مكونات إذا ما استقرّت مياه الأمطار عليها يؤدي إلى تملّحها ، بل تختلف النباتات في مقدار متطلباتها من الماء .

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاله وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ )(النور٤٣)

ذكر الله تعالى أنّه يسوق السحاب بقدرته أوّل ما ينشئها وهي ضعيفة ، ثمّ يؤلف بينه أي يجمعه بعد تفرقه ثمّ يجعله ركاماً أي متراكباً بعضها فوق بعض ، فيخرج من خلاله المطر [٤٥] .

وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى أنواع ومراحل تكوّن السحب وتطوّرها إلى النوع الماطر . فالسحب تتكوّن من قطرات ماء غاية في الدقة ، وفي ارتفاعات كبيرة تعرف بالسمحاق ، ثمّ تكبر تلك القطرات وتختلط ببلورات ثلجية وتنخفض فتعرف بالسحاب الطبقي ، ثمّ تتكاثف بزيادة وتراكم المكونات فيسمّى بالركامي ، والماطر منه هو المزن الركامي [٤٦] .

كما أنّ كلمة (برد )التي وردت في الآية مظهراً من مظاهر التكاثف والتساقط. والبرق معروف في العواصف الرعدية ، وفي كل مطر هاطل .

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاءً طَهُوراً(٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً(٤٩)) الفرقان

كلمة (بشراً) تحمل نفس التفسير الذي ورد في الآية (٥٧ ) من سورة الأعراف ،أي أرسل الرياح مبشراً بالمطر أي تتقدّم المطر . وتفسير الآية (٤٩) الفرقان، لنحييَ به أرضاً هامدة لا نبات فيها، ونسقي به الأنعام من بقر وإبل وغنم...الخ. وكذلك الناس [٤٧] .

ولذلك نجد في كثير من الأقاليم ،رحلات موسمية للرعاة إلى حيث تهطل الأمطار وتنبت العشب ،وتتجمّع المياه في المنخفضات . مثل رحلات البقارة في غرب السودان ورعاة الإبل .

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ )(النمل٦٠).

في هذه الآية إشارة إلى الجانب السياحي وجانب الترويح في الحدائق والبساتين.

(وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ )(الروم٢٤)

ومن آياته الدّالة على عظمته أنّه يريكم البرق خوفاً ممّا يحدث بعده من مطر مزعج وصواعق متلفة ،وطمعاً فيما يأتي بعده من مطر يحي الأرض بعد موتها [٤٨] .

(اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ )(الروم٤٨ )

في الآية إشارة إلى ميكانيكية تصاعد البخار من المسطحات المائية عن طريق التيارات الهوائية الصاعدة وحدوث عملية التكاثف حتى يصل السحاب إلى مرحلة السحاب

الماطر و إنزال المطر على الناس . حيث جاء في تفسيرها أنّ الرياح تثير سحاباً من البحر أو ممّا يشاء الله ، فيمده في السماء ويكثره وينميه ثمّ يبسطه حتى يملأ أرجاء الأفق حتى إذا صار ثقيلاً ، ترى المطر يخرج من وسطه ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يفرحون .

(فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )(الروم٥٠)

في هذه الآية ينبّه الله عباده إلى آثار رحمة الله . أي المطر . كيف يحيي الأرض بعد موتها فالذي فعل إحياء الأرض بعد موتها لقادر على حياء الموتى .

(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ )(لقمان١٠)

جاء في هذه الآية أنَّ الله أنزل من السماء ماءً فأنبت به من كل زوج كريم أي حسن [٤٩].

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ)(السجدة٢٧).

بيّن الله تعالى في هذه الآية لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إسالة الماء ، إمّا من السماء أو من السيح، وهو ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاتها (الجرز)التي لا نبات فيها [٥٠] .

وجغرافياً ،كذلك ، تنساب المياه عبر المجاري المائية من مصادر مختلفة ، فهي إمّا أن تسيل من هطول الأمطار مباشرة أو تنطلق من المياه المختزنة في البحيرات ، كنهر النيل من البحيرات الاستوائية والهضبة الإثيوبية ، أو من المياه الذائبة من الجليد ،كنهر الرون الذي ينبع من ثلاجة الرون . وكذلك الأودية والأنهار التي تنبثق من العيون والينابيع ، مثل نهر التايمز بإنجلترا ، وأنهار لبنان من نبع مغارة جعيتا وعين داوود [٥١].

وخير مثال للأودية التي تسيل من الينابيع ، في السودان، الأودية التي تنحدر من جبل مرة بولايات دارفور [٥٢] .

فالأودية والأنهار تسيل وتصل مياهها إلى المناطق الجافة وغير الجافة لتروى بها الأراضي ،سواء أكان ذلك بالري الفيضي أو عن طريق الطلمبات . بل تنقل هذه المياه الطمي والخصب إلى تلك المناطق ، لاسيّما الدلتاوات ، فضلاً عن الاستخدامات الأخرى لها ، كالاستخدام المنزلي وسقي الحيوان واستخدام الصناعي وغيره .

(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ )(فاطر٩).

جاء في تفسير هذه الآية ، أنّ الله يستدل على الماء بإحيائه للأرض بعد موتها بإنبات الزرع ، وذلك بإرسال الرياح التي تثير السحاب وتحمله فتسقط مطراً في تلك الأرض الهامدة فتحيا ، فكذلك يحيي الموتى [٥٣].

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ )(الزمر٢١)

وتفسير هذه الآية أنّ الله أنزل من السماء ماءً . أي المطر . فأدخله في الأرض وأنبت به زرعاً مختلفاً ألوانه وروائحه، ثمّ بعد أن يصل إلى نضارته ييبس فتراه مصفراً، ثمّ يتحطم ويتكسّر. وفي كل ذلك ذكرى وتدّبر لأولي

الألباب لتوحيده تعالى [٥٤] .

في هذه الآية يبيِّن الله لعباده قدرته في إنزال المطر وإنبات الزرع ثمّ تحطمه بعد نضارة ليتذكر ، ومن الناحية الجغرافية فإنّ الغطاء النباتي الذي يبقى بعد جفافه ويتحوّل إلى دبّال (تبن) من أكثر الطرق وأهمّها في إعادة خصوبة التربة طبيعياً .

(وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ) (الشورى٢٨)

في هذه الآية بيان لأهمية الماء بالنسبة للإنسان ، وأنّ الله ينزِّل المطر من بعد أن يقنط الإنسان .

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ )(الزخرف١١)

(بقدر) أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم وأنعامكم ، فإحيينا به أرضكم بإنبات الزرع ،ثمّ نبّه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها [٥٥] .

والله تعالى ،من رحمته ، وحكمته بأن هيّأ للإنسان بيئته الطبيعية بقدر ، فينزِّل الماء بحسب ما يفي بمتطلباته دون إضرار . فدرجة تسرُّب الأرض للماء ليس بمقدار ما ينزل من مطر ، وإذن لتسرّب كل المياه ولم يبق على سطحها من شيء ، ولما سالت لتصل إلى الأرض الجرز التي لا تهطل فيها الأمطار ليستفاد منها في الري .

(وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(الجاثية ٥ )

جاء في تفسير [٥٦] (وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ ...) وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر ، في وقت الحاجة إليه وسماه رزقاً ، لأنّ به يحصل الرزق ، فأحيا به الأرض بعد موتها أي بعد أن كانت هامدة لا نبات فيها ولاشيء [٥٧] .

وكما ذكر سابقاً فإنّ المطر عنصر مهم جداً من عناصر البيئة الطبيعية ،فبه يكسب الإنسان رزقه . وأهمية المطر يكون أكثر وضوحاً بالنسبة لإنسان الريف الذي يمارس الزراعة والرعي . فالسنوات التي يشح فيها المطر تكون فيها المجاعات ونفوق الحيوانات وموت الإنسان ، لاسيّما إذا توالت سنوات الجفاف . وقصة سيدنا يوسف عليه السلام في هذا الصدد معروفة في القرآن الكريم .

(وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ(١٠) رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ(١١) )ق

أي نزّلنا من السحاب ماءً كثير البركة فأنبتنا به جنّات والحب الذي يحصد والنخل شاهقات لها طلع منضود ،رزقاً للخلق ،وأحيينا به الأرض التي كانت هامدة بالإنبات، وهذا مثال للبعث بعد الموت [٥٨] . وهذا مشابه لمعاني آيات كثيرة سبقت .

(وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً(١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً(١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً(١٦)) النبأ

جاء في التفسير [٥٩] أنّ لفظ (المعصرات) يعني الرياح ، وكأنّها تعصر السحاب لتمطر ، وقيل أنّها تعني السحاب الذي ينعصر بالماء ولمّا يمطر بعد ، والماء الثّجّاج المتتابع .

والواقع وكذلك النظرة الجغرافية يوافقان ذلك . ففي موسم المطر عندما يكون الهواء

مشبّعاً بالرطوبة يكون الجو ملبداً بالسحب والمطر متتابعاً في الهطول ،ليل نهار ، وهو ما يعرف محلياً (بالعينة) وعكسها (الصبنة) . وكما وردت في أكثر من آية سبقت ، أنّ الله يخرج بهذا الماء حباً كالحنطة والشعير وغيرها ، ونباتاً لتأكل منه الدواب ، وبساتين ملتفة بعضها فوق بعض لتشّعُب وتشابك أغصانها .[٦٠]

(فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامه(٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً(٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً(٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً(٢٧) وَعِنَباً وَقَضْباً(٢٨) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً(٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْباً(٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبّاً(٣١) مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ(٣٢)) عبس

في هذه الآية بيان واضح للإنسان من حيث التهيئة التامة لبيئته التي يعيش فيها ، من حيث المأكل والمشرب ، بالأطعمة المتنوعة ، ليقوم بتحقيق الغاية التي من أجلها خلق ،ويقوم بمهمته كخليفة في الأرض ، وإن كانت هذه المعاني قد وردت في آيات كثيرة سبقت ،إلاّ أنّه هنا على الإنسان أن ينظر إلى طعامه ، بإحياء الأرض الهامدة بمختلف أنواع الثمرات والأكل ،له ولأنعامه ، بل أنشأ الأشجار التي يستظل بها ، ذلك، ليتيّقن أنّ الله قادرٌ على أن يحييَ هذه الأجسام بعد أن تمزّقت وأصبحت عظاماً بالية .

**الخاتمة:**

فإنَّ كوكب الأرض بسطحها وماعليه ، وغلافها الجوّي ومكوّناته ، هي الموطن الذي أعده الله تعالى للإنسان من بين الكواكب الأخرى . بيئة نظيفة تحتوي على كل متطلباته . فإمّا أن يصونها ويسخرها لمصلحته، وإمّا أن يفسدها ويكون ذلك سلباً على حياته. والآيات التي ورد ذكرها وشرحها والتعليق عليها من وجهة النظر الجغرافية، بيّنت أوجه تسخير تلك البيئة للإنسان لطفاً به وتكرُّماً عليه. والواقع الآن في العالم يظهر الوجه الآخر الذي هو الإفساد.

**المراجع المصادر:**


١. القرآن الكريم
٢. الموسوعة القرآنية الشاملة، شركة السفير، الإصدارة الأولى، جمهورية مصر العربية. (نسخة إلكترونية).
٣. المرجع العربية:
٤. إلياس منصور أحمد ،المناخ وأثره في التنمية الزراعية في جبل مرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،جامعة أم درمان الإسلامية ،٢٠٠٣م.
٥. مهدي أمين التوم ، مبادئ الجغرافية المناخية ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ، ١٩٨٦.
٦. جودة حسنين جودة،الجغرافية المناخية والنباتية ، دار المعرفة الجامعية ، السكندرية ، ١٩٨٨.
٧. جودة حسنين جودة ، الجيومورفلوجيا ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط٢، ٢٠٠٣م.

**المراجع الإنجليزية:**

١. Potter،A.W.& Robinson،H.،Geology،ELBS،London،١٩٨٢.
٢. Michael J. Bradshaw، Earth، The Living Planet، ELBS، Low-Priced Edition، Great Britain، ١٩٧٩

**مواقع إلكترونية:**

١. http://quran.maktoob.com
٢. http://www.mexat.com/vb/showthread.php

**الهوامش:**


١. تفسير أبن كثير. شركة السفير. الإصدارة الأولى .
٢. المرجع السابق
٣. المرجع السابق
٤. المرجع السابق
٥. المرجع السابق
٦. المرجع السابق
٧. القرطبي ،ابن كثير ،الجلالين ، المرجع السابق.
٨. الإعجاز الكوني http://quran.maktoob.com تاريخ الدخول ١٣/١/٢٠١١م
٩. موسوعة الإعجاز الكوني العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، http://www.mexat.com/vb/showthread.php تاريخ الدخول ١٣/١/٢٠١١م
١٠. ابن كثير، مرجع سابق
١١. القرطبي ، مرجع سابق
١٢. ابن كثير، مرجع سابق
١٣. القرطبي ، مرجع سابق
١٤. إلياس منصور أحمد ،المناخ وأثره في التنمية الزراعية في جبل مرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،جامعة أم درمان الإسلامية ،٢٠٠٣م ، ص ٨٠
١٥. ابن كثير، مرجع سابق
١٦. المرجع نفسه
١٧. Potter،A.W.& Robinson،H.،Geology ELBS،London،،١٩٨٢،p٢١.
١٨. مرجع سابق
١٩. Op.cit ١٩ Potter،A.W.& Robinson،H.،
٢٠. القرطبي ، مرجع سابق
٢١. الجلالين ، المرجع السابق .
٢٢. ابن كثير ، المرجع السابق .
٢٣. مهدي أمين التوم ، مبادئ الجغرافية المناخية ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ، ١٩٨٦ ، ص ١٨.
٢٤. القرطبي ، مرجع سابق.
٢٥. Michael J. Bradshaw، Earth، The Living Planet، ELBS، Low -Priced Edition، Great Britain، ١٩٧٩، p ١.
٢٦. جودة حسنين جودة ،الجغرافية المناخية والنباتية ، دار المعرفة الجامعية ، السكندرية، ١٩٨٨ ، ص ١٨٩
٢٧. القرطبي ، مرجع سابق
٢٨. Bradshaw، Op.cit. p ٦٤
٢٩. جودة حسنين جودة ، مرجع سبق ذكره،ص ١٨٥
٣٠. ابن كثير ، مرجع سابق .
٣١. المرجع السابق
٣٢. القرطبي ، مرجع سابق
٣٣. ابن كثير ، مرجع سابق
٣٤. القرطبي ، مرجع سابق
٣٥. المرجع نفسه
٣٦. ابن كثير ، مرجع سابق
٣٧. جودة حسنين جودة ، مرجع سابق ،ص ٢١٩
٣٨. القرطبي ، مرجع سابق
٣٩. الجلالين ، المرجع السابق
٤٠. ابن كثير ، المرجع السابق
٤١. المرجع نفسه
٤٢. المرجع نفسه
٤٣. الجلالين ، مرجع سابق
٤٤. ابن كثير ، مرجع سابق
٤٥. المرجع نفسه
٤٦. جودة حسنين جودة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦٣ ٢٦٧.
٤٧. ابن كثير، مرجع سابق
٤٨. المرجع نفسه
٤٩. المرجع نفسه
٥٠. المرجع نفسه
٥١. جودة حسنين جودة ، الجيومورفلوجيا ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط٢ ،٢٠٠٣م ص ١٧٣
٥٢. إلياس منصور أحمد ،مرجع سابق ،ص
٥٣. ابن كثير ، مرجع سابق
٥٤. القرطبي ، مرجع سابق
٥٥. ابن كثير ، مرجع سابق
٥٦. المرجع نفسه
٥٧. المرجع نفسه
٥٨. المرجع نفسه
٥٩. القرطبي ، مرجع سابق
٦٠. المرجع نفسه